

THE HOUSES OF ADHR'AAT AND THEIR SCIENTIFIC AND ADMINISTRATIVE CONTRIBUTIONS IN THE LEVANT AND EGYPT FROM THE SEVENTH CENTURY TO THE NINTH CENTURY AH

Riad Salim AWAD¹

Assist. Prof. Dr, University of Kirkuk, Iraq

Abstract

The corridors of science and administration in the Levant and Egypt during the period from the seventh century until the ninth century AH witnessed a remarkable presence of the scholars of Adhr'aat city, as they contributed to the support and development of religious sciences such as the sciences of the Noble Qur'an, the hadith, and jurisprudence, as well as the sciences of the Arabic language, including grammar and literature, they taught it in some schools in the Levant and Egypt, in addition to authoring books, especially in the field of jurisprudence, and their administrative contributions were represented in their leadership of important functions in the state such as the judiciary, the ministry, the Hesba, and the consideration of the army and others, and the reason for choosing the subject of study is to strive to achieve several goals, including shedding light on the name and history of the city of Adhr'aat, that many researchers may not have heard of it, and getting to know the most important scientific and administrative families that emerged from it, and knowing the scientific and administrative contributions of these families in the Levant and Egypt during the period the focus of the research, as well as knowing the role of the ruling authority in supporting the houses of Adhr'aat in a way that enhances their value or position within the Levantine and Egyptian societies.

Key words: Levant, Egypt, Adhr'aat, Scientific Houses.

 <http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.22.12>

¹  riadawad90@gmail.com

بيوتات أذرعات واسهاماتها العلمية والإدارية في بلاد الشام ومصر منذ القرن السابع حتى التاسع للهجرة

رياض سالم عواد

أ.م.د، جامعة كركوك، العراق

الملخص

شهدت أروقة العلم والإدارة في بلاد الشام ومصر خلال المدة من القرن السابع حتى القرن التاسع الهجريين حضوراً مشهوداً لعلماء بيوتات مدينة أذرعات، إذ ساهموا في دعم وتطوير العلوم الدينية كعلوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، فضلاً عن علوم اللغة العربية ومنها النحو والأدب، فعمدوا إلى تدريسها في بعض مدارس الشام ومصر، فضلاً عن تأليفهم الكتب لا سيما في مجال علوم الفقه، أما اسهاماتهم الإدارية فإنها تمثلت بتصدّرههم للوظائف المهمة في الدولة كالقضاء، والوزارة، والحسبة، ونظر الجيش وغيرها، وأنّ سبب اختيار موضوع الدراسة هو السعي من أجل بلوغ عدّة أهداف منها تسليط الضوء على اسم وتاريخ مدينة أذرعات المغمور عن اسماء كثير من الباحثين، والتعرّف على أهم الأسر العلمية والإدارية التي خرجت منها، وبيان الإسهامات العلمية والإدارية لهذه الأسر في بلاد الشام ومصر خلال المدة محور البحث، فضلاً عن إظهار دور السلطة الحاكمة في دعم البيوتات الأذرعاتية بما يعزّز قيمتها أو مكانتها داخل المجتمعين الشامي والمصري.

الكلمات المفتاحية: بلاد الشام، مصر، أذرعات، البيوتات العلمية.

مقدمة:

كان للعلماء الذين أنجبهم مدينة أذرعات الدور الرائد في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية وخصوصاً سليلو الأسر العلمية الأذرعاتية، إذ تركوا لمساتهم الوضّاءة في مختلف ميادين الحياة في بلاد الشام ومصر ومنها الحياة العلمية التي شهدت إزدهاراً ملحوظاً إبان القرون محور البحث، وكان لشيوخ هذه البيوتات دوراً جلياً في دعم وتطوير العلوم الدينية كالإقراء، وعلوم الحديث الشريف، والفقه، والخطابة، فضلاً عن علوم اللغة العربية كالنحو والأدب، كما حرصوا على نقل هذه العلوم لطلبتهم في مختلف المدارس العلمية التي درّسوا فيها في دمشق وحلب ومصر، ولم يقتصر هذا الدور على رجال هذه البيوتات فحسب بل شاركهم فيه النساء الأذرعاتية أيضاً ولا سيما في مجال الحديث الشريف؛ أما إسهامات علماء بيوتات أذرعات الإدارية فهي الأخرى لم تقل شأناً عن دورهم في الحياة العلمية، إذ أسندت إليهم السلطة الحاكمة في بلاد الشام ومصر أرفع المناصب كالقضاء، والوزارة، والحسبة، وكتابة السرّ، ونظر الجيش، فضلاً عن نظر المدارس، لما أتصفوا به من نبيل الصفات كالعدل، والأمانة، والكفاءة، والخبرة في مجال الإدارة، وفن الكتابة، ومهارات الإدارة المالية؛ وبناءً على ما تقدّم تكمن أهمية الدراسة، أما سبب اختيار هذه المدينة موضوعاً للدراسة فهو يكمن في اسمها الذي ربّما يكون غير مألوف أو غير مسموع لبعض الباحثين المهتمين بتاريخ المدن أو الحواضر الإسلامية واثراها في الشهود الحضاري وقتذاك، بينما كان سبب اختيار بلاد الشام ومصر كميدان للبحث لأن هذين البلدين كانا يمثلان كياناً سياسياً واقتصادياً

واحداً أبان حكمهما من قبل الايوبيين والمماليك، وعند الغور في أعماق الجذور التاريخية للأسر الأذرعاتية تبين أنها تمتد من القرن السابع حتى القرن التاسع للهجرة وهو التاريخ الذي تمّ تحديده كإطار زمني للدراسة بغية الاحاطة بتاريخ بداية هذه الأسر والتعزّف على الحدود التي بلغتها اسهاماتها العلمية والادارية إلى قرابة ثلاث قرون من الزمن.

وبالتالي فإنّ هدف الدراسة هو الإجابة على بعض الأسئلة المطروحة أمامها كإشكالية من الضروري معالجتها وهي: أين تقع مدينة أذرعات، ومتى تمّ تأسيسها، أو إلى أيّ من العصور التاريخية القديمة تعود بداياتها؟، وإن كان تاريخها قديماً فمتى تمّ فتحها من قبل المسلمين؟، ومن هي الأسر العلمية التي انجبتها هذه المدينة؟، ومتى تنقل شيوخها بين الحواضر الشامية والمصرية؟، وما هي طبيعة اسهاماتهم العلمية، وما هي العلوم التي اشتهروا بها، وهل ساهم علماء أذرعات في تأليف الكتب، أو التدريس في المدارس الإسلامية؟، وهل حظي علماؤها بدعم السلطة الحاكمة لبلاد الشام ومصر متمثلة بالأيوبيين والمماليك، ونالوا ثقة أرباب الدولة؟، وما هي صور الدعم التي قدّمها الامراء والملوك لشيوخ بيوتات أذرعات؟، وما هي الوظائف التي تقلّدوها حينذاك وأين؟، وهل شاركت المرأة الأذرعاتية الرجال الأذرعاتيين ذات الدور الذي قاموا به، كل هذه الاسئلة وغيرها ستحاول الدراسة الإجابة عنها أو معالجتها في قادم مطالبها.

أمّا خطة الدراسة ومنهجيتها، فإنّها توزّعت على أربعة مطالب مسبقة بتمهيد اختصّ بالتعريف بمدينة أذرعات، وبيان موقعها، فضلاً عن تقصي بدايات ظهورها على مسرح التاريخ، بينما عنت المطالب الأربعة من الدراسة بعرض سير واسهامات شيوخ بيوتات أذرعات العلمية والإدارية في بلاد الشام ومصر، إذ حُصّص كلّ مطلبٍ لأسرة واحدة، أمّا ترتيب أو تسلسل عرض هذه الأسر فأنته تمّ عرضها حسب الحروف الهجائية لاسم العالم الذي اشتهر به البيت، وكانت هذه البيوتات هي بيت البرهان ابراهيم بن ابراهيم الأذرعي، وبيت الشهاب أحمد بن حمدان الأذرعي، وبيت بنو ابن الكشك الأذرعي، وبيت بنو ابن قاضي أذرعات، أمّا ترتيب عرض اسماء علماء البيت الواحد داخل المطلب الواحد فأنته تمّ اعتماد عرضهم على الأقدم وفاةً بينهم، علماً أنّ بعض العلماء أغفلت المصادر التاريخية ذكر سنوات وفياتهم فاعتمدت ترتيب عرضهم على الحرف الهجائي لاسم العالم، ثمّ اختتمت الدراسة بجملة من النتائج التي تمخّضت عنها.

تمهيد: نبذة تاريخية عن أذرعات:

أذرعات: بالفتح، ثمّ السكون، وكسر الزاء، وعين مهملة، وألف وتاء، كأنه جمع أذرعة، وجمع ذراع جمع قلة (ياقوت الحموي، 1995م، 1/ 130)؛ (البكري، 1982م، 1/ 132)، ووردت في التوراة بلفظ أذرعي (Edrei) بمعنى قوة أو حصن (علي، 2001م، 5/ 59)، والنسبة إليها الأذرعي (السمعاني، 1962م، 1/ 145)، وهي مدينة تقع على أطراف الشام، تجاور أرض البلقاء، وعمّان التي تبعد عنها أربعة وخمسون ميلاً، وبينها وبين دمشق مسيرة أربعة أيام (ابن حوقل، 1938م، 1/ 187)؛ (العريزي، د.ت، ص 63)؛ (ياقوت الحموي، 1995م، 1/ 130)، وإذا كانت أذرعات هي أذرع فهي اليوم قرية من عمل حوران داخل الحدود السوريّة بالقرب من مدينة درعا شمالاً، وتكون على يسار الطريق حين تؤم دمشق (شُرّاب، 1990م، ص 25).

ان مدينة أذرعات تُعد من المدن التاريخية القديمة، غير أنّ المصادر التاريخية لم تقدّم لنا صورة واضحة المعالم عن بداية تأسيسها، أو ظهورها على مسرح التاريخ، ولكن من خلال الآثار المكتشفة فيها تبين أنها كانت خاضعة لحكم الرومان في العصور ما قبل الميلاد ضمن المقاطعة السوريّة، إذ عُثر فيها على نقود سُكّت في سنة (83 ق. م)، وكانت بعض

النقود التي صُربت فيها تحتوي على صور للقيصرة الرومان الذين صُربت في عهدهم، فضلاً عن وجود اشارات في بعضها عن الاله ذي شري وهو إله النبط، أي كانت تنتشر فيها عبادة الاوثان، ولكن بعد عقود من الزمن انتشرت فيها الديانة النصرانية، كما تبين من خلال بقايا الآثار العمرانية التي عُثر عليها في هذه المدينة أن أذرعات كانت مدينة عامرة ذات نشاط تجاري واضح، إذ عُثر فيها على آثار لشوارع، وحوانيت، وموضع سوق (علي، 2001م، 59 / 5 - 61)، أما ما تناقلته بعض الروايات التي تذكر أن هذه المدينة كانت موطناً لعوج بن عنق بنت آدم عليه السلام فهي غير صحيحة (علي، 2001م، 60/5)، ومن الأسرائيليات التي أخذها المفسرون والახباريون المسلمون عن أهل الكتاب الذين كانوا يروون الروايات الغربية عن عوج أنه ابن عنق أو عناق أو عوق بنت آدم وحواء، إذ ولدته عنق بعد أن زنى بها ابليس (ابن كثير، 1988م، 129 / 1)؛ (العصامي، 1998م، 164 / 1)، وزعم أهل الكتاب أن عوجاً كان عملاقاً يبلغ طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراع (البغوي، 1999م، 30 / 2)؛ (أبو شُهبة، د.ت، ص 186)، وأنه عاش إلى زمن نوح عليه السلام، ونجى من الطوفان الذي بلغ ارتفاعه إلى ركبتيه، وكان يلتقط بيده الحوت من البحر ويشويه بعين الشمس فيأكله، ويحبس الماء في السحاب فيشربه، ثم امتدت حياته إلى زمن النبي موسى عليه السلام، الذي تمكن من قتله عندما أراد موسى ان يذهب مع بني اسرائيل إلى فلسطين، فاعترضهم عوج عند أذرعات ففضى عليه النبي موسى عليه السلام (الثعلبي، 2002م، 36 / 4)؛ (علي، 2001م، 60 / 5)، بينما تشير رواية أخرى لهم أن موسى عليه السلام قتله في مصر وسقط صريعاً على نهر النيل، فصار جسراً يعبر الناس على ظهره لمدة عام (السيوطي، 1967م، 64 / 1)، وهي رواية غريبة بكل تفاصيلها إذ ردّ عليها بعض العلماء والمفسرون المسلمين منهم ابن كثير قائلاً: ((ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاثاً، إلى غير ذلك من الهذيان التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها وركاكتها، ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول ... ويُنصَر إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المنزلّة وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها ... وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلاقاً من بعض زنادقتهم وفجّارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم)) (1988م، 129 / 1)، والغاية من ذكرنا لتفاصيل هذه الرواية هو لتأكيد عدم صحّة ما ذُكر أن مدينة أذرعات كانت موطناً لعوج المزعوم.

وعندما نشب الصراع بين الامبراطوريتين الرومانية والساسانية كانت أذرعات احدى المدن التي تنافس عليها طرفي النزاع وذلك لأهميتها آنذاك، إذ يرى بعض المفسرون أن أذرعات هي الارض التي دارت عليها المعركة بين الرومان والفرس الساسانيين استناداً الى تفسيرهم لقول الله ﷻ في قرآنه الكريم: ﴿الم، عُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْحَرُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الروم: الآية 1 - 4)؛ (الثعلبي، 2002م، 7 / 294)؛ (القرطبي، 1964م، 4 / 14)؛ (السيوطي، د.ت، 6 / 483)، وفي ذلك يقول الطبري: ((وأدنى الأرض يومئذ أذرعات، بها التقوا فهزمت الروم)) (2000م، 69 / 20)؛ (1967م، 184 / 2)، وأدنى الأرض أي أقرب اراضي الروم إلى مكّة المكرمة (ابن عطية، 2001م، 4 / 327)؛ (ابن الاثير، 1997م، 1 / 433)؛ (أبو حيان الاندلسي، 1999م، 8 / 374)، وقد حدثت هذه المعركة في عهد الرسول محمد ﷺ، فحزن المسلمون وقتها لانتصار المجوس الأميين على أهل الكتاب، فأنزل الله ﷻ هذه الآية الكريمة على رسوله الأعظم محمد ﷺ ليخبره بأن الرّوم سيغلبون الفرس بعد هذه المعركة ببضعة سنين، فتمّ ذلك وعداً من الله ﷻ بعد سبعة سنوات، أي خضعت أراضي الشام ومنها مدينة أذرعات مرّة أخرى لحكم الامبراطورية الرومانية، وقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ المعركة الثانية التي انتصر فيها الروم على الفرس، إذ قيل قبل الهجرة بستين، أو في يوم بدر، أو في عام الحديبية (ابن الجوزي، 1992م، 2 / 387)؛ (ابن الاثير، 1997م، 1 / 433)؛ (ابن عبد

السلام، 1996م / 2 / 521).

وبعد انتصار المسلمون في غزوة بدر سنة (2هـ)، حسد اليهود في المدينة المنورة المسلمين على انتصارهم هذا، فنقض بنو قينقاع العهد مع الرسول ﷺ، فأمر بجلائهم عن المدينة، فاتجهوا إلى أذرعات (المسعودي، د.ت، 1 / 206)؛ (ابن الاثير، 1997م، 2 / 30)، وفي سنة (4هـ) أجلى الرسول محمد ﷺ يهود بني النضير إلى أذرعات بعد محاولتهم اغتياله، فقبل بحقهم (السهيلي، 2000م، 6 / 169)؛ (ابن كثير، 1988م، 4 / 91):

"فَخَلَاهُمْ ثُمَّ قَالَ اطَّعُونَا" "دُحُورًا عَلَى رَعْمِ الْأَنْفِ"
 "وَأَجَلَى النَّضِيرِ إِلَى غُزَيَّةٍ" "وَكَاثُوا بِدَارِ ذَوِي زُرْفِ"
 "إِلَى أَدْرَعَاتٍ رِدَافًا وَهُمْ" "عَلَى كَلِّ ذِي دَبْرٍ أَعْجَفِ"

وعندما توجه الرسول محمد ﷺ الى بلاد الشام في غزوة تبوك سنة (9هـ)، للتصدي لجيوش الرومان، وحقق المسلمون الانتصار فيها دون قتال وذلك لانسحاب جيش الروم خوفاً من المواجهة (ابو الفداء، د.ت، 1 / 148 – 149)، قام الرسول محمد ﷺ بفرض الجزية على سگان بعض المناطق التي كانت خاضعة لحكم الرومان، ويذكر البلاذري أنّ أذرعات كانت من بين المدن التي فرض عليها الرسول ﷺ الجزية قائلاً: ((فكان أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما علمنا، وكانوا نصارى، ثم أعطى أهل أيلة، وأذرح، وأهل أذرعات الجزية في غزوة تبوك)) (1988م، ص 75)، وهنا البلاذري أنفرد بهذه الرواية عن أذرعات بأنها فتحت في غزوة تبوك، ولم تُشر المصادر الأخرى إلى ذلك (ابن هشام، 1955م، 2 / 525)؛ (ابن حبان، 1996م، 1 / 368)؛ (البيهقي، 1948م، 5 / 247)؛ (ابن كثير، 1976م، 4 / 29)، ويبدو أنّ رواية البلاذري حول فتح أذرعات في غزوة تبوك لم تكن دقيقة بدليل عدم ذكرها من قبل مؤرخي السيرة النبوية، هذا من جانب، ومن جانب آخر البلاذري نفسه ذكر في موضع ثانٍ أنّ أذرعات قد فتحت في عهد الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ، عندما امر خالد بن الوليد (ت21هـ)، أن يتوجه من العراق إلى بلاد الشام، ففتح مدينة بصرى سنة (13هـ)، وصالح أهلها على دفع الجزية، وكان قدرها ديناراً واحداً عن كلّ بالغ، مقابل أن يأمنوا على دمائهم وأولادهم وأموالهم، فأتى صاحب أذرعات وطلب من خالد الصلح على ما صالح عليه أهل بصرى فوافق الأخير على طلبه (البلاذري، 1988م، ص 116 - 128)؛ وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وتحديداً سنة (17هـ)، عندما توجه إلى بلاد الشام لاستلام مفاتيح بيت المقدس أستقبله المقلّسون من أهل أذرعات بالسيوف والزيجان ترحيباً بمقدمه، فأمر الخليفة عمر بمنعهم (البلاذري، 1988م، ص 141)، فقال له أبو عبيدة عامر بن الجراح (ت18هـ): ((يا أمير المؤمنين، هذه سنة للعجم، وإنك إن منعتهم منها يروا أن في نفسك نقضاً لعهودهم، فقال عمر: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة)) (البكري، 1982م، 1 / 132)، ومعنى المقلّسون من التقليل أي الضرب بالدف والغناء، إذ يستقبلون الأمير عند دخوله البلد وهم يرقصون، ويأتي معنى المقلّس أيضاً من لبس القلنسوة أو القالس، وهي أشبه بقبعات الروم (ابن قتيبة الدينوري، 1976م، 2 / 26)؛ (الفارابي، 1987م، 3 / 966)؛ (كُرد علي، 1983م، 4 / 94)، وفي سنة (20هـ) أمر الخليفة عمر ﷺ بإجلاء يهود خيبر إلى أذرعات وأريحا (النويري، 2002م، 17 / 141)؛ (ابن كثير، 1988م، 7 / 115)، فنلاحظ أنّ هذه المدينة كانت منفي اليهود في عهد الرسول محمد ﷺ، وعهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ.

وبتعاقب العقود والقرون أضحت مدينة أذرعات من أهم مدن الشام الإسلامية، وصولاً إلى عهد الأيوبيين والمماليك حيث أصبحت ولاية من الولايات التابعة إدارياً لدمشق، وكان فيها مقر الحاكم الذي يُعيّن من قبل السلطان، أو من قبل

نائبه في دمشق (القلقشندي، د.ت، 4/ 207)، كما تجلّت أهميتها بشكل أكبر عندما أخذت على عاتقها مسؤولية المشاركة في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، ولا سيما إبان القرون مدار البحث، على أيدي مشايخ الأسر العلمية التي انجبتها هذه المدينة العريقة، إذ حفلت كتب التراجم والطبقات بذكر عير سير علمائها، والتغّي بجليل إسهاماتهم الحضارية في بلاد الشام ومصر، كإسهاماتهم في الحياة العلمية والإدارية لكلا البلدين، فمن هذه البيوتات الأذرعاتية العلمية:

أولاً: بيت البرهان ابراهيم بن ابراهيم الأذري:

بيت القرّاء والمحدّثين، والفقهاء والنحويين، والقضاة الحنفيين، أصله من أذرعات، ونسبه يعود إلى قبيلة أسد خزيمية المضربية العدنانية (السمعاني، 1962م، 1/ 214)؛ (القرشي، د.ت، 1/ 32)؛ (القلقشندي، 1980م، ص 389)، قال ابن تغري بردي عن شيوخه: ((هم من بيت علم وفضل)) (1984م، 1/ 29)، كان لعلمائه دور ملموس في دعم الحياة العلمية والإدارية في الشام ومصر، وكبير هذا البيت هو الشيخ برهان الدين ابراهيم بن ابراهيم الأذري الحنفي، لم تشر المصادر التاريخية إلى سنة وفاته، ولعلّها كانت في أواخر القرن السابع الهجري (القرشي، د.ت، 1/ 32)؛ (ابن تغري بردي، 1984م، 1/ 29)، أمتدحه ابن تغري بردي قائلاً: ((كان فقيهاً ديناً عالماً، وعليه تفقّه ولده قاضي القضاة شمس الدين رحمه الله)) (1984م، 1/ 29)، أي كان الشيخ البرهان عالماً بالفقه، وعمل على نقل علمه إلى ابنه وهو الشيخ المقرئ الفقيه النحوي قاضي القضاة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن البرهان ابراهيم الأذري الحنفي (ت712هـ)، وُلد في أذرعات سنة (644هـ)، وتلقّى فيها علوم الفقه والنحو، ثم انتقل إلى دمشق طالباً للعلم سنة (665هـ)، حيث أخذ علوم القرآن الكريم في الجامع الأموي (القرشي، د.ت، 2/ 2)؛ (النعيمي، 1990م، 1/ 429)، فأصبح ماهراً بما نهله عن شيوخه إذ وصفه الصفدي قائلاً: ((كان فاضلاً من أعيان مذهبه، يعرف الفقه والأصول والنحو)) (1998م، 4/ 221)، ثم أنتقل إلى حلب مدرّساً ومفتياً في المدرسة الحلاوية، وبعدها عاد إلى دمشق في سنة (673هـ) ليتولّى فيها التدريس في المدرستين العلميّة والشبليّة البرّانية (ابن كثير، 1988م، 14/ 78)؛ (القرشي، د.ت، 2/ 2)؛ (ابن حجر العسقلاني، 1972م، 5/ 1)؛ (النعيمي، 1990م، 1/ 429)، مستمراً في تدريسه حتّى جاء تقليده في سنة (705هـ) من قبل السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون المملوكي (ت741هـ) (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 8/ 233)، بتنصيبه قاضياً للقضاة الحنفية في دمشق، حيث بقي في منصبه لمُدّة عام، ثم انتقل إلى مصر في سنة (712هـ)، فنزل في خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة، ولكنّه تمرّض بعد خمسة أيام من دخوله مصر، ثم فارق الحياة على اثر ذلك المرض (الصفدي، 1998م، 4/ 222)؛ (ابن تغري بردي، 1963م، 9/ 223)، ونلاحظ في سيرة حياة الشمس محمد أنّه عمل في التدريس في حلب ودمشق لأكثر من ثلاثة عقود تولّى خلالها وظيفة القضاء لمُدّة عام واحد.

ثمّ جاء بعده ابنه الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشمس محمد الأذري الحنفي (ت741هـ)، تتلمذ على يد أبيه وجده فأصبح بارعاً في علوم الفقه اصولاً وفروعاً، وكذلك علوم اللغة العربية، حتى صار إماماً فاضلاً ومفتياً قديراً، قال عنه ابن حجر العسقلاني: ((وكان هو فاضلاً حسن الشكل والخلق والخلق)) (1972م، 1/ 284)، وقد تولّى مهنة التدريس في الجامع الحاكمي، ووظيفة نيابة القضاء في مصر التي كانت مثواه الأخير (القرشي، د.ت، 1/ 91)؛ (ابن فهد، 1998م، ص 142)؛ (ابن تغري بردي، 1984م، 2/ 118).

ثمّ جاء بعده أبنة الشيخ المحدّث الخطيب شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد الأذري الحنفي (ت805هـ)، وُلد في دمشق سنة (738هـ)، ونشأ نشأته العلمية فيها، وصفه السخاوي بالقول: ((وكان خيراً فيه سكون وحشمة مع رأي

وديانة وشهرة ورياسة") ((1992م، 39 / 7)، وعزّ جانبه لدى الأمراء منهم نائب السلطان في دمشق الأمير اقتمر الحنبلي الصّالحي (ت779هـ) (السخاوي، 1992م، 39 / 7)؛ (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 8 / 450)، ثم انتقل إلى مصر حيث وُلِّي فيها مشيخة الجامع الجديد، وخطابة جامع شيخو، وحَدَّث وسمع الكثير من العلماء على رأسهم الشيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 2 / 250).

ومن علماء هذا البيت الشيخة المحدثّة ام عيسى مريم بنت الشهاب أحمد الأذري الحنفي (ت805هـ)، أخت الشيخ الشمس محمد السابق ذكره، وُلدت في القاهرة سنة (719هـ) (السخاوي، 1992م، 12 / 124)، فتتلمذت على يد أبيها، وسمعت الحديث الشريف عن المحدثين المشهورين في الحجاز ومصر ودمشق وأجازوا لها بالرواية (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 2 / 254 - 255)؛ (ابن حجر العسقلاني، 1972م، 1 / 284)، فأضحت مسندة الديار المصريّة بلا منازع، وخزّجت لنفسها معجماً بمسموعاتها عن شيوخها (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 9 / 85)، وسمع عنها محدّثي عصرها منهم المسند ابن حجر العسقلاني الذي بيّن دورها في رواية الحديث الشريف قائلاً: ((وقرأت عليها الكثير من مسموعاتها وأشياء كثيرة بالإجازة ... ونعمت الشيخة كانت، ديانة وصيانة ومحبة في العلم، وهي آخر من حدّث عن أكثر مشايخها")) (1969م، 2 / 254 - 255)، واستمرت باشتغالها بعلم الحديث حتى وافتها المنية في مصر (ابن فهد، 1998م، ص 142).

ومما تقدّم ذكره نلاحظ أنّ أسرة البرهان ابراهيم الأذري حرصت على تربية أفرادها تربية علمية إذ قام شيخها البرهان بتعليم ابنه الشيخ الشمس محمد، والاب والابن نقلوا علومهم إلى الحفيد الشهاب أحمد، والأخير اسمع ابنته المسندة مريم الحديث الشريف، أمّا الدور العلمي والإداري لهذه الأسرة خارج مدينة أذرعَات فإنّه بدأ في عهد الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن البرهان ابراهيم الأذري، وكانت اشهر علوم شيوخها هي الحديث الشريف، والفقّه الحنفي، واللغة العربية، فضلاً عن دورهم في الخطابة والوعظ، ونال أفراد هذه العائلة الحظوة لدى السلطة الحاكمة في الشام ومصر منهم السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون المملوكي (ت741هـ)، والأمير اقتمر الحنبلي الصّالحي (ت779هـ) نائب السلطان في دمشق، فأسندوا لبعض شيوخهم أرفع وظيفة الا وهي القضاء، وأهم ما جسّده هذا البيت الأذرعَاتي من دور هو دور المرأة في دعم الحركة العلمية آنذاك ممثلاً بالشيخة المحدثّة ام عيسى مريم بنت الشهاب أحمد الأذرعَاتية.

ثانياً: بيت الشهاب أحمد بن حمدان الأذري:

أسرة علمية أذرعَاتية جليّة القدر، ساهم شيوخها بدعم الحياة العلمية والإدارية في بلاد الشام ومصر بعد أن رحلت من أذرعَات إلى حلب في زمن شيخها العلامة شهاب الدين ابو العباس احمد بن حمدان الأذري الشافعي (ت783هـ)، وُلد في أذرعَات سنة (709هـ)، إذ بدأ نشأته العلمية بالترحال إلى الحواضر الإسلامية طلباً لعلوم الحديث الشريف والفقّه، فتتلمذ على أيدي أشهر محدّثي وفقهاء بيت المقدس، ودمشق، وحلب، ومصر، والقاهرة، والاسكندرية، فأجازوا له بالرواية والافتاء، فضلاً عن اكتسابه عنهم نبيل الصفات منها أنّه كان فقيه النفس، محبّاً للعلماء ولا سيما الغرباء، ومحسناً لهم، صادقاً جواداً، معتقداً لأهل الخير، صاحب حشمة، ومروءة، وكياسة، وإنسانية، وبسبب هذه الأخلاق التي تحلّى بها عُين قاضياً لحلب كنائبٍ عن قاضي القضاة في دمشق، فانتقل مع أسرته إلى حلب لتولّي وظيفته فيها، فسكن في المدرسة العصريّة، وذلك يدل على زهد هذا الشيخ الجليل وعدم امتلاكه المال الذي يكفيه لشراء أو استئجار منزل يسكن فيه، فباشر وظيفته بنزاهة وعقّة، فخدمت سيرته فيها، إذ كان لا يساوم على حق، ولا ينحاز لباطل، شديد حازم في أحكامه،

يتحرى بدقّة تفاصيل ما يُعرض عليه من شكاوى، ولا يفسح المجال لتدخل أصحاب السلطة في شؤون القضاء، إذ كان يتكلم مع نواب السلطان في حلب بغلظة وشدة، وهو دليل على قوّة شخصيته آنذاك (ابن قاضي شهبة، 1986م، 3/ 141 – 143)؛ (ابن تغري بردي، 1984م، 1/ 291 - 294)، وعن نزاهته في وظيفته يقول النعمي: ((“أنه كان يأخذ العهد على أصحابه أنهم لا يلون القضاء”)) (1990م، 1/ 44)، ولكن رغم ذلك لم يجد الشهاب الأذري نفسه في هذه الوظيفة فقرّر تركها والتفرغ لإكمال الطريق الذي بدأه وهو طريق العلم، إذ اكتب جهده في الاشتغال في الافتاء، والتدريس، والتأليف في مجال الفقه ومسائله، أمّا الأولى فإنه برع فيها، وانتفع الناس به، إذ بين ابن قاضي شهبة دوره في الافتاء بالقول: ((“وشاعت فتاويه في الأفاق مع التوقّي الشديد خصوصاً في الطلاق، وكان عسراً في الإذن في الإفتاء لم يأذن إلا لجماعة يسيرة”)) (1986م، 3/ 143)، حتّى أنه كان ينظم الشعر على طريقة الفقهاء، وممّا أنشده من الشعر (ابن تغري بردي، 1984م، 1/ 294)؛ (النعمي، 1990م، 1/ 44):

"كيف لا يستجيبُ ربّي دعائي" "وهو سبّحانهُ دعاني إليه"
 "مع رجائي لفضله وابتهالي" "واتكالي في كلّ خطبٍ عليه"

أمّا دوره في مجال التدريس فإنه درّس في أشهر المدارس الحلبية كالمدرسة الظاهرية، والبلدية، والأسدية، ودار الحديث البهائية، فضلاً عن التدريس في المدرسة الظاهرية الجوانية بدمشق، فأضحى مقصداً للعديد من طلبة العلم (ابن تغري بردي، 1984م، 1/ 294)؛ (النعمي، 1990م، 1/ 267)، ثم تفرغ للتصنيف في فروع الفقه الشافعي حيث انقطع عن الناس في مسكنه بحلب لا يخرج إلا لحاجة، وتميّز بسرعة الكتابة (ابن تغري بردي، 1984م، 1/ 294)، إذ بين ابن حجر العسقلاني جهوده في مجال التأليف قائلاً: ((“ثم ترك وأقبل على الاشتغال والتصنيف والفتوى والتدريس، وجمع الكتب حتى اجتمع عنده منها ما لم يحصل عند غيره، وظفر من النقول ما لم يحصل لأهل عصره وذلك بين في تصانيفه”)) (1969م، 1/ 241)، فمن كتبه في مجال الفقه الشافعي اختصاره كتاب (الحاوي الصغير في الفروع) لابي الحسن الماوردي (ت450هـ)، كما ألّف كتاب (التوسّط في الفتح بين الروضة والشرح) في عشرين مجلدة، شرح فيه كتابي (الروضة)، و(العزیز في شرح الوجيز) لأبي القاسم عبد الكريم الرافي القزويني (ت623هـ)، كما شرح كتاب (منهاج الطالبين) في الفقه لمحيي الدين النووي (ت676هـ)، في شرحين وسهما بعنوان (غنيّة المحتاج)، و(قوت المنهاج) في عشرة مجلدات، وله أيضاً تعليقات على كتاب (المهمّات) لجمال الدين الاسنوي (ت772هـ)، بيّض منه إلى النكاح في أربعة مجلدات (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 1/ 241)؛ (النعمي، 1990م، 1/ 44)؛ (البغدادی، د.ت، 1/ 115)؛ (كحالة، 2001م، 1/ 210)، وأستمر الشهاب الأذري ملازماً للتأليف والاشتغال بالعلم حتى خارت قوّته، وضعف بصره، وثقل سمعه، وفي أحد الايام سقط عن السلم فكسرت ساقه، وصار يعرج في مشيه، فتوفي بعدها ودفن في حلب (ابن قاضي شهبة، 1986م، 3/ 142)؛ (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 1/ 241).

ثمّ جاء بعده ابنه الشيخ جلال الدين عبد الله بن الشهاب احمد الأذري الشافعي (ت835هـ)، أخذ علومه عن أبيه وغيره من العلماء، وانتقل من حلب إلى دمشق فقطنّها، أثنى عليه السخاوي قائلاً: ((“كان فقيهاً جيّد البحث خيراً منجمعاً عن الناس، وعنده غالب مصنّفات أبيه فلا يبخل بإعارتها”)) (1992م، 5/ 7)، أي استمرّ دعمه للحركة العلمية على خطى والده لا سيما في مجال الفقه، فضلاً عن رعايته لطلبة العلم بإعارة كتب ابيه الشهاب لهم.

وكذلك سار على نهج الوالد والابن الشيخ المحدّث الفقيه تاج الدين عبد الرحمن بن الشهاب أحمد الأذري الشافعي

(ت838هـ)، أخو المتقدم، وُلد بحلب سنة (759هـ)، وتلقّى فيها علوم الحديث الشريف والفقه، وكذلك في دمشق على يد والده وغيره من العلماء، فحفظ القرآن الكريم، ومنهاج الطالبين للنووي، كما طلب العلم في القاهرة، ونابلس حيث سمع فيها جزءاً من غرائب السنن لأبن ماجه، ثم عاد إلى حلب ليوظّف علومه في خدمة أهلها حيث درّس في المدرسة الأُسديّة، وقد بيّن السخاوي دوره العلمي قائلاً: ((كان فاضلاً كَيْساً مشاركاً في علوم مستحضرّاً لأشياء حسنة كتب الخط الحسن، وقال الشعر الجيّد وحَدّث، سمع منه الفضلاء وارتحل إليه)) (1992م، 4 / 50)، ثم انتقل إلى القاهرة واستوطنها لسنوات، ومنها تحوّل إلى دمنهور حيث تولى فيها وظيفة القضاء إلى آخر حياته (ابن تغري بردي، 1984م، 7 / 160)؛ (السخاوي، 1992م، 4 / 49 - 50).

نلاحظ ممّا تقدّم أن أسرة الشهاب الأذري انتقلت من اذرعَات إلى حلب في عهد شيخها الشهاب، ومنها إلى دمشق في عهد أبنه الجلال، بينما تحوّل أخوه التاج إلى مصر، وان علماء هذه الأسرة اشتهروا بعلم الفقه وتحديداً الفقه الشافعي، إذ حرص الشيخ الشهاب على تعليم اولاده هذا العلم، وقاموا بتدريسه في مدارس الشام، والتأليف فيه، فضلاً عن تقلّدهم وظيفه القضاء في حلب ودمنهور بمصر.

ثالثاً: بيت بنو ابن الكشك الأذري:

أكبر بيوتات أذرعَات العلمية وألمعها، عرفوا ببيت ابن عطاء، وبيت ابن الكشك، وبيت ابن أبي العز (ابن كثير، 1988م، 13 / 314)؛ (ابن تغري بردي، 1963م، 11 / 216)، والاسم الاول من بين هذه الاسماء الثلاثة أقدمها وروداً في المصادر التاريخية، وجاء نسبة لجدهم الاعلى عطاء بن جبير بن جابر بن وهيب الأذري (ابن كثير، 1988م، 13 / 314)، ولم يرد شيئاً من سيرته في كتب التاريخ، أمّا أشهر اسم اشتهرت به هذه العائلة هو بيت ابن الكشك، وقد عرّفه ابن تغري بردي قائلاً: ((بيت علم ورياسة وعراقة)) (1984م، 2 / 214)، وذلك لانجابه خيرة الرجال من أرباب العلم والإدارة الذين تصدرت سيرهم كتب التراجم والطبقات بجميل عبارات المدح والتفاخر بهذا البيت العريق، ودوره في إثراء الحياة العلمية والإدارية في بلاد الشام ومصر آنذاك منهم الشيخ المحدّث أبو العباس أحمد بن عطاء بن الكشك الأذري (ت653هـ)، أقدم شيوخ هذه الأسرة ذكراً في مصادر التاريخ، أثنى عليه الذهبي قائلاً: ((كان حاجّاً صَدُوقاً)) (2003م، 14 / 739)، كان يسكن في حلب فانتقل منها مع اسرته إلى دمشق فأقام بها، ولكن لم تشر الروايات إلى تاريخ انتقاله من أذرعَات إلى حلب (الذهبي، 1988م، 1 / 207)؛ (الصفدي، 1998م، 1 / 167)؛ (ابن حجر العسقلاني، 1972م، 1 / 114)، وقد روى وكتب عنه العلماء الدمشقيين الحديث الشريف، وكانت وفاته بينهم حيث دُفن في الصالحية (الذهبي، 2003م، 14 / 739).

وجاء بعده ابن أخيه الشيخ المسند الفقيه قاضي القضاة شمس الدين ابو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء بن الكشك الأذري الحنفي (ت673هـ)، وُلد سنة (595هـ)، أخذ علوم الحديث الشريف والفقه عن مشايخ دمشق، وأضحى المشار إليه بالبنان في عصره بشهادة الحافظ الذهبي الذي بيّن دوره في دعم الحركة العلمية في دمشق بالقول: ((تفقه ودرّس وأفتى، وصار المشار إليه في المذهب، ووُلي عدّة مدارس ... وكان إماماً فاضلاً، دَيِّباً، متواضعاً، محمود السيرة، حسن العشرة، قانعاً باليسير، قليل الرّغبة في الدُّنيا، تاركاً للتكلف، تفقه عليه جماعة)) (2003م، 15 / 262 - 263)، أذ ألقى دروسه في بعض مدارس دمشق وهي المدرسة المعظمية، والخاتونية الجوانية، والمرشدية، (النعيمي، 1990م، 1 /

392، 443، 450)، أما دوره في مجال القضاء فقد أوكل له منصب نائب القاضي في دمشق، ولحزمه وعدله وقوله الحق مهما كانت الظروف، ولكفاءته في مجال عمله، تمّ تنصيبه بعد ذلك قاضياً للقضاة الحنفية في دمشق سنة (664هـ) من قبل السلطان ركن الدين الظاهر بيبرس المملوكي (ت676هـ) (الذهبي، 2003م، 15 / 306)؛ (القلقشندي، د.ت، 11 / 173)، وهو أول من تنصّب بهذا المنصب في دمشق بعد استحداثه من قبل بيبرس في العام المذكور (ابن كثير، 1988م، 13 / 286)؛ (الصفدي، 2000م، 17 / 314)؛ (النعيمي، 1990م، 1 / 337، 2 / 9)، فكان له الصيت الذائع في هذه الوظيفة الجديدة، ومنها أنّه حصل في عهده التعدي على بعض بساتين الاهالي بدمشق، وتعالّت صيحات أصحابها وتظلمهم، فحضر السلطان بيبرس إلى دار العدل وكان يجلس أمامه بقيّة القضاة ومن معهم من أرباب الدولة، وكان السلطان يرغب أن يحكم القضاة له بالاستحواذ على تلك الأملاك، أذ طلب من القاضي شمس الدين الأذري أن يقضي له وفق مذهبه الحنفي، فغضب القاضي شمس الدين معترضاً على هذا الأمر ونهض من مجلسه (ابن قُطُوبُغَا، 2011م، 6 / 118) وقد نقل لنا النعيمي ردّة فعل وحكم القاضي عبد الله الأذري للسلطان بالقول: ((السيد لأرباب الأملاك ولا يحلُّ لأحد ان ينازعه في املاكهم، ومن استحلّ ما قد حرّم الله فقد كفر، فغضب السلطان غضباً شديداً وتغيّر لونه، ثم قال: أنا أكفر؟ انظروا لكم سلطاناً غيّرني!، وكان الذي حمل القاضي على هذا الكلام مخافة الله وخشيته")) (1990م، 1 / 444)، فعكس لنا هذا النص مدى شدّة وحزم ونزاهة القاضي في موقفه، وإنّه قال الحق دون أن يخشى لومة لائم، فخرج السلطان من المجلس غاضباً، ولما سكن غضبه أرسل إليه، فظنّ القاضي أنها نهايته، فودّع أهله وترك وصيّته، وعندما دخل على السلطان، عاتبه الأخير قائلاً له: ((يا قاضي تكفّرنا اليوم")) (النعيمي، 1990م، 1 / 444)، فأجاب القاضيه بأنه لا يقصده في كلامه بل قال ما يجب أن يُقال للجميع في هكذا مسألة لأجل بيان الحق، فأعجب به السلطان وبشجاعته ونزاهته وأثنى عليه، ووهبه الخلع، فعاد القاضي عبد الله الأذري الى بيته مجبوراً معظماً (النعيمي، 1990م، 1 / 444)، وقال السلطان لحاشيته: ((لا تثبتوا كتباً إلا عنده")) (ابن قُطُوبُغَا، 2011م، 6 / 118 - 119)، أي يرجعون إليه حصراً في استحصال الأحكام في القضايا لثقته العالية به.

ثم جاء بعده الشيخ المقرئ الفقيه اللغوي الأديب قاضي القضاة أبو الربيع صدر الدين سليمان بن أبي العز محمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت677هـ)، وُلد سنة (594هـ)، كان أماماً متبحراً بعلوم الفقه، عارفاً بدقائق المذهب وغوامضه، وقد انتهت إليه رياسة الحنفية تدريساً وافتاءً في بلاد الشام ومصر، إذ تصدّر للأقراء وتدرّس الفقه في مدارس دمشق وهي القيمازية، والمقدمية الجوانية، والعدراوية، والظاهرية الجوانية، فضلاً عن المدرسة الصالحية في مصر (ابن تغري بردي، 1984م، 6 / 57)؛ (النعيمي، 1990م، 1 / 418، 422، 458)، ونال القبول المطلق والمحبة الكبيرة من قبل السلطان الظاهر بيبرس، ووصف الذهبي هذه المحبة قائلاً: ((وكان الملك الظاهر يحبه ويبالغ في احترامه، وقد أذن له أن يحكم حيث حل، وكان لا يكاد يفارقه في غزواته، وحجّ معه")) (2003م، 15 / 338)، فأوكل له منصب قاضي القضاة الأحناف في دمشق، وعندما انتقل الصدر الأذري إلى القاهرة أسند له وظيفة قاضي القضاة فيها (الذهبي، 2003م، 15 / 338)؛ (النعيمي، 1990م، 1 / 418)، وكان ينظم الشعر الجميل ومنه ما قاله عندما قام الملك المعظم عيسى بن الملك العادل محمد الايوبي (ت624هـ) (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 7 / 201) بتزويج مملوكه بجاريته، وكان الأثنان جميلين فقال صدر الدين سليمان الأذري بحقهما (اليونيني، 1992م، 3 / 302)؛ (ابن كثير، 1988م، 13 / 329):

"يا صاحِبِي قِفا لي وَأَنْظُرَا عَجَبًا" "أَتَى بِهِ الدَّهْرُ فِينَا مِنْ عَجَائِبِهِ"
 "الْبَدْرُ أَصْبَحَ فَوْقَ الشَّمْسِ مَثْرَلَةً" "وَمَا الْعُلُوُّ عَلَيَّهَا مِنْ مَرَاتِبِهِ"
 "أَصْحَى يُمَائِلُهَا حُسْنًا وَصَارَ لَهَا" "كُفُوا وَسَارَ إِلَيْهَا فِي مَوَاكِبِهِ"
 "فَأَشْكَلَ الْفَرْقُ لَوْلَا وَثِي يُمَنَّتَهُ" "بِضْدَعِهِ وَأَخْضِرَا فَوْقَ شَارِبِهِ"

ثم جاء بعده ابنه الشيخ الفقيه العلامة تقي الدين أحمد بن الصدر سليمان بن الكشك الأذري الحنفي (ت685هـ)، كان اماماً فاضلاً، وعالماً بارعاً، تلقى علومه عن أبيه وغيره من مشايخ الفقه الحنفي، ولازم الاشتغال بالإفتاء والتدريس إلى آخر عهده بدمشق، إذ درس في عدة مدارس فيها وهي المدرسة المقدّمية الجوانية، والقليجية، والشبلية، فانتفع به الطلبة (ابن تغري بردي، 1984م، 1/ 310)؛ (النعمي، 1990م، 1/ 438، 458).

ومنهم الشيخ المسند الفقيه بدر الدين ابو المحاسن يوسف بن قاضي القضاة شمس الدين عبد الله بن الكشك الأذري الحنفي (ت696هـ)، وُلد سنة (619هـ)، قال عنه الصفدي: ((كان فقيهاً فاضلاً مهيباً)) (2000م، 29 / 103)، وحَدَّث عنه العلماء في دمشق (الصفدي، 2000م، 29 / 103).

وجاء بعده الشيخ الفقيه شمس الدين محمد بن الصدر سليمان بن الكشك الأذري الحنفي (ت699هـ)، أخو الشيخ بدر الدين ابو المحاسن يوسف المذكور سلفاً، أثنى عليه الذهبي قائلاً: ((كان من كبار الحنفيّة، مقصوداً بالفتوى، أفتى نيّفاً وثلاثين سنة، وناب في القضاء عن أبيه بدمشق، وكان منقبضاً عن الناس، كثير الانقطاع، عديم المخالطة، تاركاً للرياسة والزعونة)) (2003م، 15 / 931)، ونلاحظ أنه تفرّغ للعمل في العلم ومنفعة المسلمين، إذ استمر في الافتاء لأكثر من ثلاثين عام، وكما استمر في تدريسه في مدارس دمشق وهي المقدمية الجوانية، والعذراوية، والصادرية، والنورية الكبرى التي فارق فيها الحياة، أما دوره في القضاء فإنه عمل نائباً لوالده قاضي القضاة الحنفيّة الصدر سليمان أنف الذكر (الذهبي، 2003م، 15 / 931)؛ (الصفدي، 2000م، 3 / 115)؛ (الصفدي، 1998م، 4 / 454).

ومنهم صاحب شهاب الدين أحمد بن الشيخ أبو العباس أحمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت706هـ)، قدم به والده وهو صغيراً من حلب إلى دمشق حيث نشأ فيها، وأضحى من المقرّبين لأرباب الدولة منهم الامير زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري (ت702هـ) (الكتبي، 1973م، 3 / 219)، حيث لازم خدمته في دمشق، وعندما تولى كتبغا النيابة في مصر أسند إليه وظيفتي نظر الديوان والحسبة بدمشق، لثقت به بخبرته وكفاءته في مجال عمله، وعندما تسلطن الأمير كتبغا على مصر والشام تحت اسم السلطان العادل في سنة (694هـ) جعله وزيراً في دمشق، وحين خلع كتبغا من السلطنة سنة (696هـ) وانتهى به المطاف هارباً إلى حماه حيث تملكها (الذهبي، د.ت، 4 / 7)؛ (النعمي، 1990م، 2 / 201)، توجه الشهاب الأذري إليه، وعندما مات كتبغا في سنة (702هـ) عاد الأول إلى دمشق في خدمة نائبها جمال الدين آقوش بن عبد الله الافرم (ت716هـ) (المقرّبي، 1997م، 2 / 519)، الذي قرّبه إليه ومنحه ثقته ليستمر الشيخ احمد الأذري في علو مكانته حتى اختطفته المنية سنة (706هـ) (الصفدي، 1998م، 1 / 167)؛ (ابن حجر العسقلاني، 1972م، 1 / 114)؛ (ابن تغري بردي، 1963م، 8 / 224)، وقد حسنت سيرته في وظائفه بشهادة ابن تغري بردي إذ وصفه قائلاً: ((كان رئيساً فاضلاً حسن السيرة)) (1963م، 8 / 224)، وهكذا نلاحظ الحظوة الكبيرة التي نالها الشهاب أحمد الأذري لدى ولّات الأمر في الشام ومصر بدليل اسناده بالوظائف الرفيعة سالفة الذكر.

وجاء بعده أخوه الشيخ المحدّث بدر الدين ابو علي الحسن بن أحمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت709هـ)، وُلد بحلب سنة (624هـ)، وسمع الحديث الشريف واسمعه، أمّا دوره الإداري فأنه عمل بوظيفة شاهد في دمشق (الفاسي، 1990م، 1/ 499)؛ (ابن حجر العسقلاني، 1972م، 2/ 112).

ومن علماء هذا البيت الشيخ الفقيه الخطيب شمس الدين ابو عبد الله محمد بن محمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت722هـ)، وُلد سنة (663هـ)، ولازم مشايخ الفقه حتّى برع فيه، ثمّ تفرّغ للعمل بالإفتاء والتدريس في مدارس دمشق منها المدرسة المعظمية في سفح قاسيون، كما درّس في العذراوية، والقليجية، واليغمورية، فضلاً عن تدريسه في المدرسة الظاهرية الجوانية التي تولّى فيها أيضاً وظيفة نظر أوقافها، كما خطب في جامع الأفرم بدمشق وكان أول من خطب به، واجاز للبعض في الإفتاء (ابن كثير، 1988م، 14/ 118)؛ (القرشي، د.ت، 2/ 122)؛ (النعيمي، 1990م، 1/ 420، 438، 450)، كما عمل في نيابة القضاء لمدة عشرين سنة، فحمت سيرته في وظيفته إذ قال عنه القرشي: ((كان إماماً فقيهاً شاعراً مفتياً، وكان يعرف الهداية معرفة تامّة جيدة، وكان بصيراً بالأحكام والقضاء، محمود السيرة)) (د.ت، 2/ 122).

ومنهم الشيخ المحدّث الفقيه جمال الدين يوسف بن محمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت728هـ)، وُلد في دمشق سنة (651هـ)، ونهل علومه من مشايخها، ثمّ تولّى تدريس علوم الحديث الشريف والفقه في المدرستين الأقبالية والعذراوية، فضلاً عن تقلّده وظيفة نظر الاوقاف، وكان من المقترين إلى الامراء (ابن حجر العسقلاني، 1972م، 6/ 242)، ثمّ جاء بعده ابنه الشيخ الفقيه صدر الدين علي بن يوسف بن الكشك الأذري الحنفي (ت737هـ)، الذي درّس وأفتى وناب في القضاء على خطى أسلافه، وكانت وفاته في القاهرة في السنة المذكورة أعلاه (ابن حجر العسقلاني، 1972م، 4/ 170).

ومن شيوخ هذا البيت القاضي الفقيه علاء الدين علي بن محمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت746هـ)، تولّى خطابة جامع الأفرم، ووظيفة نائب القاضي الحنفي في دمشق، فضلاً عن عمله في التدريس في المدرستين المعظمية والقليجية، أي أنّه ورث عن أبيه الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت722هـ) المذكور آنفاً معظم وظائفه في دمشق وهي الخطابة والتدريس ونيابة القضاء (ابن حجر العسقلاني، 1972م، 4/ 141)؛ (النعيمي، 1990م، 1/ 439، 450).

ثمّ جاء بعده عمّه الشيخ الفقيه اللغوي قاضي القضاة عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن محمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت783هـ)، نشأ في دمشق ونال علومه فيها وهي الفقه واصوله واللغة العربية، فأثنى عليه ابن تغري بردي قائلاً: ((وكان فقيهاً رئيساً من بيت علم ورياسة بدمشق، وهم يعرفون ببنى أبي العز وبنى الكشك)) (1963م، 11/ 216)، وقد درّس في مدرسة القصاعية بدمشق ومن بعده أولاده (النعيمي، 1990م، 1/ 436)، كما أوكلت له وظيفة نائب القاضي الحنفي في دمشق لمدة طويلة، ليسقل بعدها كقاضٍ للقضاة الحنفية، وهو دليل على أنّ سبب ترقّيته في وظيفته هو لخبّرتة وكفاءته في مجال عمله (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 1/ 243)؛ (ابن تغري بردي، 1984م، 2/ 424)؛ (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 8/ 481).

ثمّ جاء بعده الشيخ الفقيه الخطيب المصنّف قاضي القضاة علاء الدين علي بن علي بن محمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت792هـ)، كان ماهراً في الفقه، فأفتى ودرّس وصنّف فيه، ومرجّح أنّه ورث عن أبيه الشيخ علاء الدين علي بن محمد (ت746هـ) خطابة الجامع الأفرم وتدريس المدرستين المعظمية والقليجية، كما ورثهما والده علي عن أبيه الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت722هـ) سالف الذكر، أمّا دوره في مجال التأليف بعلم الفقه فأنه ألف كتاب (التنبيه على مشكلات الهداية) لأبي الحسن المريغاني (ت593هـ) في فروع الفقه الحنفي (البغدادي، د.ت، 1/ 702، 726)، وكتاب (النور اللامع فيما يعمل به في الجامع) أي الجامع الاموي (كحالة، 2001م، 7/ 156)؛ (الزركلي، 1990م، 4/ 313)،

ولعظيم شأنه في علم الفقه وعدله ونزاهته تولى منصب قاضي القضاة الحنفية في دمشق سنة (779هـ)، ثم انتدب قاضياً على مصر، فأستعفى بعد شهر وعاد إلى دمشق على وظائفه المذكورة (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 1/ 408)؛ (ابن حجر العسقلاني، 1972م، 4/ 103).

ثم جاء بعده الشيخ المحدّث الفقيه قاضي القضاة نجم الدين ابو العباس أحمد بن اسماعيل بن الكشك الأذري الحنفي (ت799هـ)، وهو ابن الشيخ قاضي القضاة عماد الدين ابو الفداء اسماعيل المذكور آنفاً، وُلد في دمشق سنة (720هـ)، ونال علومه فيها حتّى أضحى عالماً بارعاً، فأثنى عليه تلميذه الشيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني قائلاً: ((كان خيراً بالمذهب، درّس بأماكن وهو أقدم المدرسين والقضاة، كان عارفاً صارماً)) (1969م، 1/ 532)، فبيّن هذا النص دور الشيخ النجم الأذري في الحياة العلمية والادارية على حد سواء، إذ كان أقدم مدرّسي الفقه الحنفي بين أقرانه، كما تمتّع بصفة الحزم أو الصرامة التي تجلّت في وظيفته التي تقلّدها آنذاك وهي القضاء، إذ أسند إليه منصب قضاء القضاة الحنفية في دمشق، ثمّ أسّدي إلى القاهرة سنة (777هـ) لتولّي قضاء الحنفية فيها، ولكن لم تطب نفسه في وظيفته هناك فأستعفى وعاد إلى دمشق في وظيفته السابقة، علماً أن منصب القضاء أوكل له عدّة مرّات في دمشق كان آخرها سنة (792هـ)، ثم تركه ولزم داره حتّى آخر حياته (ابن تغري بردي، 1984م، 1/ 241)؛ (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 8/ 608).

ثمّ جاءت بعده أخته الشيخة المحدّثة صفية بنت اسماعيل بن الكشك الأذري الحنفية (ت801هـ)، وقد شاركت شيوخ بيتها في رواية الحديث الشريف، ورواه عنها تلاميذها (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 2/ 72)؛ (السخاوي، 1992م، 12/ 71).

ثمّ جاء بعدها ابن اخيه القاضي محيي الدين محمود بن أحمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت808هـ)، ناب عن والده الشيخ قاضي القضاة نجم الدين أحمد في دمشق، ثمّ استقلّ بعدها قاضياً للقضاة الحنفية (السخاوي، 1992م، 10/ 127)، وعندما استباح تيمورلنك دمشق سنة (803هـ) (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 2/ 301)؛ (ابن تغري بردي، 1963م، 12/ 240 - 245)، عمل معهم في المنكرات، وأوكلوا له منصب القضاء، وصار بقيّة القضاة تحت يده، ولقّب بـ (قاضي المملكة)، وارتكب المظالم بحق الناس فمقتوه وكرهوه (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 2/ 349)، ثمّ انقلب عليه تيمور بعد أن رأى منه الخيانة، فعاقبه واسره وصادر أمواله، ثمّ تمكّن من الهرب إلى القاهرة حيث صدر مرسوم تنصيبه قاضياً على الشام، ولكن لم ينقّذ نائب السلطان في دمشق الامير شيخ بن عبد الله المحمودي (ت824هـ) (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 9/ 240)، وبقي خاملاً دون عمل حتى وفاته، إذ تفرّقت وظائفه بين اخوه واولاده (السخاوي، 1992م، 10/ 127)؛ (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 9/ 119).

يتّضح ممّا تقدّم ان القاضي محيي الدين محمود لم تُحمد سيرته في وظيفته، وأقترف المظالم بحق الناس أبان تقلّده منصب القضاء، وبالتالي كرهه العامة وكذلك خاصة القوم ممثلة بالأمير شيخ نائب السلطان في الشام، ممّا أساء إلى سمعة عائلته التي عاشت لقرون وهي تحظى بحب واحترام اهل الشام ومصر لسمعتهم الطيبة ونزاهتهم وعدلهم، فضلاً عن جليل قدرهم بالعلوم التي نفعوا بها طلبتهم آنذاك.

ثمّ جاء بعده أبنة الشيخ الفقيه قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك الأذري الحنفي (ت837هـ)، وُلد في دمشق سنة (780هـ)، ونشأ بها طالباً للعلوم خاصّة في مجال الفقه الحنفي، فعلّت مكانته العلمية بشهادة السخاوي الذي قال عنه: ((انتهت إليه رياضة أهل الشام في زمانه، وكان شهماً قوي النفس يستحضر الكثير من الأحكام ... وهو

من بيت شهير بالعلم والرياسة") (1992م، 2/ 221)، إذ صارت بيده غالب تداريس المدارس الحنفية في دمشق آنذاك، إلى جانب تولّيه وظيفة نظر أوقاف هذه المدارس، وهي المدرسة الظاهرية، والصادرية، والقصاعين، والخاتونيتين الجوانية والبرانية، والنورية (السخاوي، 1992م، 2/ 220 - 221)؛ (النعمي، 1990م، 1/ 484)، ولعظيم مكانته وعلمه ونبل صفاته حظي بقبول كبير لدى السلطة الحاكمة لمصر وبلاد الشام، فأوكلوا له المناصب الجليلة، إذ تقلّب فيها طوال حياته، أوّلها أنّه ناب عن والده محيي الدين محمود السابق عرضه في القضاء بدمشق، ثم صار قاضياً للقضاة الحنفية سنة (812هـ)، وقد اسند له هذا المنصب لسته مرّات بين عزل أو ترك من قبله فيُعاد تكليفه مرّة أخرى، واستمر في هذه الوظيفة لأكثر من (17) سنة، كلّفه خلالها السلطان المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي المملوكي (ت824هـ) (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 9/ 240) بوظيفة نظر الجيش، فاستمر فيها لأكثر من ست سنوات، ثم تركها وبقي في وظيفة القضاء حتى سنة وفاته (السخاوي، 1992م، 2/ 220)، كما طُلب للمجيء إلى القاهرة لتولّي منصب كاتب السر فيها من قبل السلطان الأشرف سيف الدين برسباي بن عبد الله المملوكي (ت841هـ) (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 9/ 347)، لكنّه رفض الذهاب متذرعاً بالمرض (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 3/ 520)؛ (ابن تغري بردي، 1984م، 2/ 214)؛ (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 9/ 319).

نلاحظ من سيرة حياة الشيخ شهاب الدين أحمد والمكانة الكبيرة التي حظي فيها داخل الأوساط العلمية والإدارية، أنّه قد تمكّن من إعادة رفع اسم ومكانة عائلته لسابق عهدها بعد ان أتى بها الأرض والده محيي الدين محمود كما مرّ ذكره. وأخيراً جاء بعده ابنه الشيخ الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن الكشك الأذري الحنفي (ت840هـ)، وُلد في دمشق في حدود سنة (810هـ)، فنشأ وتلمذ فيها وأخذ الفقه عن أبيه وغيره من الشيوخ، فعمل مدرّساً في بعض مدارس والده الشهاب أحمد في دمشق وهما المدرستين الظاهرية والقصاعين (السخاوي، 1992م، 7/ 106)؛ (النعمي، 1990م، 1/ 396، 397)، كما وُلّي قضاء الحنفية بدمشق بعد أبيه سنة (837هـ)، ولكن لم تطل مدّته فيه إذ أمضى ما بقي من حياته عاطلاً عن عمل إلى أن توفّي في سنة (840هـ) (ابن حجر العسقلاني، 1969م، 4/ 61)، فأسدل الستار عن اسم هذه العائلة وغاب ذكرها في مصادر التاريخ، إذ يؤكّد السخاوي ذلك أثناء حديثه عن وفاة الشيخ الشمس محمد صاحب الترجمة قائلاً: ((ثم لم يلبث أن مات معزولاً في يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول سنة أربعين عن نحو ثلاثين سنة وبه انقضى بيتهم وهو بيت كبير")) (1992م، 7/ 106).

وهكذا انتهت رحلة الاسهام العلمي والإداري لشيخ بيت ابن الكشك الأذري في بلاد الشام ومصر بعد أن دامت لقرنين من الزمن، انطلقت مراكبها في منتصف القرن السابع الهجري، وحطّت رحالها في منتصف القرن التاسع الهجري، فتخلّلتها العديد من الانجازات العلمية لشيخ هذه الأسرة توزّعت بين تأليف لعدد من المصنّفات الفقهية وغيرها، والتدريس في مختلف المدارس الشامية والمصرية، فضلاً عن إثبات دور المرأة الأذرعانية في دعم الحركة العلمية متمثلة بالشيخة المحدّثة صفية بنت اسماعيل الأذرعانية، أمّا الإنجازات الإدارية لشيخ هذه العائلة فقد تجسّدت في تقلّدهم لأجل المناصب في الشام ومصر وعلى رأسها القضاء، والوزارة، والحسبة، ونظر الأوقاف، ونظر الجيش، وهو شاهد على خبرتهم وكفاءتهم في مجال الإدارة ولا سيما الإدارة المالية، فضلاً عن بيان دور السلطة الحاكمة آنذاك في دعم وتقريب شيخ هذا البيت.

رابعاً: بيت بنو ابن قاضي أذرعات:

بيت علم أذرعاتي الأصل، ساهم شيوخه في دعم الحياة العلمية والإدارية في بلاد الشام ومصر، عُرف علماءه ببني قاضي أذرعات نسبة للشيخ صدر الدين حسن بن علي بن محمد الأذرعي الشافعي، الذي تولّى وظيفة القضاء في بلده أذرعات، فعُرف بقاضي أذرعات، ثم نُسب أفراد بيته إليه، وقد كان الصدر الحسن محمود الأثر فأثنى عليه الملطي قائلاً: ((وكان فاضلاً بارعاً، له ديانة وخير، وله نظم حسن)) (2002م، 3/ 212)، أي كان بارعاً بعلومه التي طلبها وهي الحديث الشريف والفقه، فضلاً عن دوره في كتابة الشعر، ولم تشر المصادر التاريخية إلى سنة وفاته، ومرجح أنه توفّي في بداية القرن التاسع الهجري في صالحة دمشق بعد انتقاله إليها من أذرعات (السخاوي، 1992م، 3/ 115)؛ (الملطي، 2002م، 3/ 211).

وكذلك من أبرز رجال هذا البيت أخوه الشيخ الأديب بدر الدين الحسين بن علي الأذرعي الشافعي (ت814هـ)، وعُرف أيضاً بابن قاضي أذرعات نسبة لأخيه، طلب الفقه والنحو في صباه بدمشق، فبرع فيهما إذ يقول السخاوي بحقه: ((كان فاضلاً في الفقه والعربية، حسن النظم، كثير النوادر)) (1992م، 3/ 152)، انتقل من أذرعات إلى دمشق سنة (793هـ)، فدرّس فيها، وأفتى، وناظر (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 9/ 158)، كما أوكل له منصب نائب القاضي الشافعي لكتّنه تركه توزعاً وخوفاً لدرجة أنه عندما استعفى أشهد عليه جماعة على أنه تاب من ولاية القضاة (النعيمي، 1990م، 1/ 176)، وهو دليل على تزهدّه عن المناصب وأنّ همّه الوحيد هو الانشغال بتحصيل العلم ونقله، إذ كانت له مجموعة دروس في الجامع الأموي، والمدرسة العذراوية، فضلاً عن تولّيه مشيخة المدرسة الخبيصية التي كانت مقر سكناه، ومن مواهبه كان جميل الخط سريع الكتابة فعمل بمهنة النسخ، فكان يكتب كزاساً في كلّ يوم (ابن قاضي شهبه، 1986م، 4/ 23)؛ (النعيمي، 1990م، 1/ 176)، ونلاحظ من خلال طبيعة حياته وسكنه في أعلى المدرسة الخبيصية، أنه فقير الحال، وريماً عمل بنسخ الكتب من أجل التكبسب من عرق جبينه؛ وتشير الروايات أنه اضطّر للرحيل من دمشق إلى القاهرة عندما اجتاحت تيمورلنك دمشق سنة (803هـ) فاحرقها وسبى أهلها وفرّ الناجين منها (ابن تغري بردي، 1963م، 12/ 240 - 245) فأقام بالقاهرة لمدة ثم عاد إلى دمشق، لتكون مثواه الأخير، فأوصى قبل وفاته بتدريسه باسم أولاده (السخاوي، 1992م، 3/ 152)؛ (النعيمي، 1990م، 1/ 176).

ثمّ جاء بعده ابن أخيه الشيخ جمال الدين عبد الله بن قاضي أذرعات صدر الدين حسن الأذرعي (ت846هـ)، قرأ القرآن الكريم، وبرع في الموسيقى، وكان أميناً موثوق الجانب لدى الدمشقيين، ومن إسهاماته الإدارية أنه تقلّد وظيفة موقع الدّست في ديوان الانشاء بدمشق (السخاوي، 1992م، 5/ 17).

ثمّ جاء بعده أخوه الشيخ شهاب الدين أحمد بن قاضي أذرعات صدر الدين حسن الأذرعي الشافعي (ت851هـ)، وُلد بأذرعات سنة (781هـ)، وتحوّل منها إلى دمشق (ابن تغري بردي، 1984م، 1/ 283)؛ (السخاوي، 1992م، 1/ 276)، فحفظ القرآن الكريم، ويقول ابن تغري بردي عنه: ((جالسته مراراً عديدة بالقلعة وغيرها، فوجدت له نوع مشاركة، وكان يجيد قراءة المحراب إلى الغاية، وكان لصوته نداوة وشجاعة، وكان يشارك في تأدي الموسيقى، وبالجملة كان له محاسن)) (1984م، 1/ 284)، وبسبب نداوة صوته صار يؤمّ الدمشقيين في الجامع الأموي، وعندما سمعه نائب السلطان في دمشق الأمير شيخ بن عبد الله المحمودي المملوكي، أعجبهت قراءته وصوته فأقرّه إماماً يؤمّ به، فصار يُعرف في المصادر التاريخية بالإمام شهاب الدين بن قاضي أذرعات، وكذلك أولاده عرفوا ببني الامام الشهاب بن قاضي أذرعات (ابن تغري بردي،

1984م، 1/ 283)؛ (السخاوي، 1992م، 1/ 210، 13، 276، 4/ 49، 11/ 183)، وبقي الشهاب احمد يؤم الامير شيخ حتى بعد أن تسلطن في مصر، فقرّبه إليه وجعله من خواصه وندمائه، أي انتقل الشيخ الامام من دمشق إلى القاهرة حيث مقر السلطنة، وبعد وفاة السلطان المؤيد شيخ سنة (824هـ) (ابن العماد الحنبلي، 1986م، 9/ 240)، أستمّر الشهاب يؤم السلاطين المماليك إلى أن توفي سنة (851هـ)، فتولّى أبناؤه من بعده الامامة (السخاوي، 1992م، 1/ 276)، ولم تذكر الروايات تفاصيلاً كثيرة عن سيرة حياة أبناء الشيخ شهاب الدين بل تناولتها باختصار فضلاً عن عدم بيان سنوات وفياتهم، وجميعهم من علماء القرن التاسع الهجري، فمن أبناء الامام شهاب الدين احمد الشيخ ابراهيم، كان احد التلامذة في المدرسة الظاهرية وسمع فيها صحيح البخاري (السخاوي، 1992م، 1/ 13)، والشيخ شهاب الدين احمد بن الامام احمد بن قاضي أذرع، وهو أحد تلاميذ الشيخ المؤرخ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ)، إذ كان يحضر دروسه في المدرسة البروقية في القاهرة (السخاوي، 1992م، 1/ 210)، والشيخ بدر الدين الحسن بن الامام احمد بن قاضي أذرع، سمع القرآن الكريم والمنهاج في الفقه على ابيه الامام، كما ختم صحيح البخاري في المدرسة الظاهرية (السخاوي، 1992م، 3/ 93)، والشيخ كمال الدين محمد بن الامام احمد بن قاضي أذرع، كان يعمل بنسخ الكتب (السخاوي، 1992م، 6/ 304)، والشيخ محب الدين يوسف بن الامام احمد بن قاضي أذرع، وهو أحد تلامذة المدرسة الظاهرية، سمع فيها صحيح البخاري (السخاوي، 1992م، 10/ 293).

ومن شيوخ هذا البيت عمّهم القاضي شهاب الدين أحمد بن بدر الدين حسين بن قاضي أذرع الاذري الشافعي (ت864هـ)، تولّى نيابة القضاء في دمشق (السخاوي، 1992م، 1/ 288)، وكذلك أخوه الشيخ الامام عبد الوهاب بن بدر الدين حسين بن قاضي اذرع الاذري، وهو من علماء القرن التاسع الهجري، وكان يؤم المصلّين في المدرسة الخبيصية بدمشق (النعيمي، 1990م، 1/ 176).

وهكذا نلاحظ ان شيوخ بيت ابن قاضي أذرع تركّزت اسهاماتهم العلمية والإدارية في القرن التاسع الهجري، وكانوا من المقرّبين إلى السلطة الحاكمة آنذاك، فأوكلوا لبعضهم منصب القضاء، وكذلك توقيع الدست، فضلاً عن إمامتهم السلاطين وبقية المسلمين في أشهر المساجد ومنها المسجد الاموي في دمشق.

الخاتمة:

بعد التقصي والبحث بين المصادر التاريخية حول سير حياة شيوخ البيوتات العلمية لمدينة أذرع بهدف التعرف على اسهاماتهم العلمية والإدارية في بلاد الشام ومصر، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

أولاً: النتائج:

1. لم يتفق المهتمين بتحديد مكان مدينة أذرع على موقعها الدقيق سابقاً وفي الوقت الحاضر، فبحسب رأي البلدانين أنّها تقع على أطراف الشام، بجوار أرض البلقاء وعمّان التي تبعد عنها أربعة وخمسون ميلاً، وبينها وبين دمشق مسيرة أربعة أيام، أمّا اليوم فمن يرى ان أذرع هي أذرع فإنّها الآن قرية من عمل حوران داخل الحدود السورية بالقرب من مدينة درعا شمالاً، وتكون على يسار الطريق حين تؤم دمشق.

2. لم تقدّم مصادر التاريخ معلومات كافية عن بداية تأسيس مدينة أذرع، وما جاء من روايات حول رجوع تاريخها إلى عهد النبي آدم عليه السلام هو غير صحيح ومن الأسرائيليات التي تناقلها المفسرون والخباريون المسلمون عن أهل

الكتاب.

3. خضعت أذرعات لحكم الامبراطورية الرومانية قبل الميلاد، وانتزعتها منهم الفرس الساسانيين في بدايات القرن السابع الميلادي، ثم أعادها الروم البيزنطيين إلى حضيرتهم حتى جاءها الفتح الاسلامي في عهد الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ سنة (13هـ).

4. كانت مدينة أذرعات منفي اليهود في عهد الرسول محمد ﷺ، والخليفة عمر بن الخطاب ﷺ .

5. أن مجتمع أذرعات كان يتكون من المسلمين واليهود والنصارى.

6. لم يكن شيوخ البيوتات الأذرعاتية على مذهب واحد بل توزّعوا بين مذهبين هما الحنفي والشافعي، أمّا الأول فكان عليه بيتي البرهان ابراهيم بن ابراهيم الأذري، وبنو ابن الكشك الأذري، بينما علماء بيت الشهاب أحمد بن حمدان الأذري، وبيت ابن قاضي أذرعات فإنهم كانوا على المذهب الشافعي.

7. توزّع الاسهام العلمي للبيوتات الاذرعاتية بين التأليف وكذلك التدريس، فضلاً عن تصدّر شيوخها مهمّة الأفتاء.

8. تنوّعت العلوم التي أشتهر بها علماء البيوتات الاذرعاتية، وكان على رأسها ضلوعهم بعلوم الفقه، ثم الحديث الشريف، ثم اللغة العربية وغيرها.

9. كان لنساء بيوتات أذرعات دوراً في دعم الحركة العلمية متمثلة بروايتهن الأحاديث النبوية الشريفة، وتتلّمذ بعض العلماء على أيديهن.

10. حرص علماء البيوتات الأذرعاتية على تربية أبنائهم تربية علمية مغروسة بالقيم الاسلامية، بهدف الحفاظ على سمعة هذه البيوتات من جهة، وليكمل الابناء الطريق عن الآباء في سبيل خدمة المسيرة العلمية في بلاد الشام ومصر من جهة اخرى، وهو ما يفسّر توارث الابناء عن الآباء علومهم ووظائفهم العلمية كتدريس الابن في ذات المدارس التي كان والده يدرّس فيها.

11. نال شيوخ بيوتات أذرعات الاهتمام المباشر من قبل السلاطين والامراء في بلاد الشام ومصر، وذلك لمكانتهم العلمية، وصفاتهم النبيلة التي تحلّوا بها، ونزاهتهم وخبرتهم في مجال الإدارة، فأسندوا لهم الوظائف الجليلة أهمّها وظيفة القضاء التي توارثها الكثير من شيوخ بيوتات أذرعات، فضلاً عن الوظائف الأخرى كالوزارة، والحسبة، ونظر الجيش، ونظر الأوقاف، وكتابة السر وتوقيع الدست في ديوان الانشاء.

12. لم تكن بلاد الشام ومصر تمثّل جبهة سياسية واحدة فحسب، بل هي جبهة علمية، اقتصادية، اجتماعية لمجتمع واحد لا تفصله أيّة حدود.

ثانياً: التوصيات:

1. على الباحثين المهتمين بدراسة التاريخ الاسلامي ضرورة تكثيف جهودهم البحثية حول التاريخ الحضاري الاسلامي، وعدم تركيز كل الجهود لإعداد دراسات في الجانب السياسي فقط، إذ من الواجب على الباحثين الغور بين ثنايا المصادر التاريخية للتقصي والبحث عن المضامين الحضارية على اختلافها كالمضامين الاقتصادية، أو العلمية أو الإدارية وحتى الاجتماعية التي حوتها تلك المصادر، لأهمية ذلك في عكس الصورة الحضارية المشرقة لتاريخنا الاسلامي.
2. ضرورة الحث على عمل دراسات تختص بتاريخ الأسر العلمية الإسلامية وآثارها الحضارية على مَرَّ العصور الاسلامية، أي الخروج بأبحاث تركز على الجهد الجماعي لا على الجهد الفردي، لا سيما ان كثير من العلماء المسلمين اشتهرت اسماؤهم في مصادر التاريخ أكثر من شهرة اسماء اسرهم، ومن هذا المنطلق تكمن اهمية عمل هكذا دراسات، كونها ستبين دور الأسرة في نشأة ذلك العالم الذي لمع اسمه من بين بقية أفراد اسرته، فضلاً عن بيان دور هذه الأسرة في خدمة المجتمع في مختلف مجالات الحياة.
3. انّ اعداد دراسات تتناول سيرة حياة رجال الأسرة الواحدة، أي بمعنى آخر الرجال الذين ينحدرون من صلب رجل واحد هي ضرب من ضروب الدراسات التي تختص بعلم الانساب، العلم الذي نال الاهتمام الكبير من قبل العرب في الجاهلية وكذلك في العهد الاسلامي، فالعربي بفطرته يفتخر بنسبه، ويحرص كلّ الحرص على حفظ تاريخ نسب قبيلته أو عشيرته، وبالتالي فمن الواجب على الباحثين العرب المسلمين ضرورة اعداد مثل هكذا دراسات لأنها سوف تعيد لفت الانظار إلى أحد علوم التاريخ المهمة وهو علم الانساب الذي ربّما قد تلاشى الاهتمام به من قبل المؤرخين في وقتنا الحاضر.
4. على الباحثين المختصين بتاريخ الحضارة العربية الاسلامية تكريس جهودهم حول إعداد دراسات تختص بتاريخ المدن الاسلامية وخصوصاً المدن التي ربّما لم يسمع عنها بعض الباحثين أو لم تسلط الدراسات السابقة الأضواء على تاريخ تلك المدن ودورها الحضاري آنذاك.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر الأولية:

ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1982م.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني (ت458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1948م.

ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت874هـ):

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، 1963م.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البُستي (ت354هـ)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صحّحه وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وآخرون، ط3، الكتب الثقافية، بيروت، 1996م.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هـ):

إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1969م.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط2، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، 1972م.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلبي (ت بعد 367هـ)، صورة الأرض، دار صادر، أفسط ليدن، بيروت، 1938م.

أبو حيان الاندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (ت745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار

الفكر، بيروت، 1999م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ):

معجم الشيوخ الكبير، تح: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، 1988م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، د. م، 2003م.

العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسبوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م .

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي المروزي (ت562هـ)، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1962م.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت581هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م .

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ):

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967م.
الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، د.ت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ):

أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد، وآخرون، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، 1998م .
الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م .

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ):

تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، ط2، دار التراث، بيروت، 1967م.

جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م.

ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي (ت660هـ)، تفسير القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، 1996م .

العزيمي، الحسن بن أحمد المهلب (المتوفى: 380هـ)، المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، د.م ، د.ت .

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت1111هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م .

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي المحاربي (ت542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرنؤوط، دار ابن

كثير، دمشق، بيروت، 1986م .

الفارابي، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م .

الفاشي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني (ت832هـ)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

ابو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي (ت732هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت.

ابن فهد، تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد الهاشمي العلويّ (ت871هـ)، لحظ الألاحظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، 1998م.

ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي الدمشقي (ت851هـ)، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، 1986م.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ)، غريب الحديث، تح: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1976م.

القرشي، محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد الحنفي (ت775هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانة، كراتشي، د.ت.

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م.

ابن فُطْلُوْبَغَا، أبو الفداء زين الدين قاسم السُّوْدُوْنِي (ت879هـ)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تح: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، 2011م.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت821هـ):

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الإياري، ط2، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، 1980م.

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاکر (ت764هـ)، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (المتوفى: 774هـ):

السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1976م.

البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، د . م، 1988م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ)، التنبيه والإشراف، تح: عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د.ت.

- المقرزي، تقي الدين أحمد بن علي الحسيني (ت845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- الملطي، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء الظاهريّ (ت920هـ)، نيل الأمل في ذيل الدول، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2002م.
- النعيمي، محيي الدين عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت927هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1990م .
- النوري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري (ت733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002م.
- ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت213هـ)، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1955م .
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت626هـ)، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.
- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت726هـ)، ذيل مرآة الزمان، ط2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992م.

ثانياً: المراجع الثانوية:

- البغدادي، اسماعيل بن محمد الباباني، هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، الاعلام، ط15، دار العلم للملايين، د.م، 2002م.
- شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية دمشق، بيروت، 1990م.
- أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم، الأسرائليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، د.م، د.ت.
- كحالة، عمر بن رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- كُزْد عَلِي، محمد بن عبد الرزاق بن محمّد، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983م .
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقى، د. م، 2001م.